فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم
من سلسلة "دروس العشر"
ثورة الحج
(باللغة العربية)

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-126135.htm

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله –صلَّى الله عليه وسلم–، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح للأمة فما ترك خيرًا إلا ودلَّنا عليه، وما ترك شرًّا إلا وحذرنا منه، فصلاةً وسلامًا دائمَيْن من رب العالمين على أشرف المرسلين محمدٍ –صلَّى الله عليه وسلم–. "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" آل عمران:102، أما بعد:

لم نُخلق سدىً ولم نُترَك هملًا

أحبتي في الله: خلَق الله –عز وجل– الخلق لغايةٍ عظيمة، لم يخلقهم سُدىً، ولم يتركهم هملًا، بل أرسل إليهم الرسل، وأنزل إليهم الكتب؛ ليكونوا على بيّنةٍ من أمرهم، ليحيا من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، خلقهم؛ ليعبدوه، "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:56، فشرَّع الله –عز وجل– لهم الشرائع، وأمرهم بأوامر، ونهاهم عن أشياء، فمن التزم بهذه الأشياء نال الجنة –أسأل الله عز وجل لي ولكم الفردوس الأعلى–.

جعل الله –عز وجل– للعباد شعائر يعرفون بها دينهم، حفظ الله –عز وجل– هذا الدين من التبديل والتغيير، "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" الحجر:9، فأنزل الله –عز وجل– القرآن لهذه الأمة، وحفظه من التبديل والتغيير، وجعل لهم شعائر ثابتة كالكعبة البيت الحرام "جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ" المائدة:97، فالناس يحتاجون إلى وحي يتعبدون به لله –عز وجل–، ويحتاجون إلى شعائر تُذكِّرهم بربهم، تُذكِّرهم بمراد ربهم.

الطاعة ليست لأدائها جوفاء لا روح فيها

وها نحن في هذه الأوقات في موسم الحج، في طاعةٍ من أعظم الطاعات، هذه الطاعة العظيمة التي لها من الحِكَم الكثير، هذه الطاعة التي جعلها الله –عز وجل– من شعائره –سبحانه وتعالى–، جعل الله –عز وجل– لنا الطاعات وفرض لنا الطاعات لغاية، لمقاصد، ليس الغرض أن نؤديَ الطاعة جوفاء لا روح فيها.

فكما أن الله –عز وجل– أمرنا بالصلاة أمرنا ألا نلتفت فيها، فإن الله –عز وجل– ينصب وجهه لعبده ما كان في صلاته ما لم يلتفت، وقال –صلَّى الله عليه وسلم–: "من لَمْ يَدَعْ قولَ الزورِ والعملَ بِهِ، فليسَ للهِ حاجَةٌ في أنِ يَدَعَ طعَامَهُ وشرَابَهُ" صحيح البخاري، أي في الصيام؛ لأن للصيام مقصد، وللصلاة مقصد.

وكذلك قال في الزكاة، قال ربنا –سبحانه وتعالى–: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى" البقرة:264، وقال –صلَّى الله عليه وسلم–: "مَن حجَّ للهِ، فلم يَرفُث ولم يَفسُقْ..." صحيح البخاري، أي أكمل الشروط وحقق الغاية، وحقق المقصد من العبادة.

فمن فعل هذه العبادات بدون مقاصدها، بدون أن يحقق مقاصدها لم ينل الأجر كاملًا، ولم يحقق الغاية من العبادة، ومن الطاعة، تهذيب النفس للملك –سبحانه وتعالى–، وأن يُعبِّد المرء نفسه لله، وأن يصبح عبدًا –سبحانه وتعالى–.

أما في الحج ففي الحج مقاصد عظيمة، ففي الحج تركٌ للأوطان، واتباعٌ لخليل الرحمن، ورجمٌ للشيطان، وتهييجٌ للقلب والوجدان، وتقديمٌ للقربان، في الحج حِكَمٌ عظيمة يجدد فيها المرء العهد والميثاق مع ربه.

مقاصد الحج:

ليعلِّمنا أن الدين جاء ليُطبَّق على أرض الوقع

جعل الله –عز وجل– الحج مرتبط بشعائر، هذه الشعائر ارتبطت بأحداثٍ حقيقية، أحداث حصلت حقيقةً قام بها إبراهيم الخليل –عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم–، وسعت هاجر –رضِي الله عنها– بين الصفا والمروة، وقدَّم إبراهيم الخليل قربانًا حقيقيًّا، ورَجَم الشيطان، ووقف في وجهه الظالم، ووقف على الحجر؛ ليبني الكعبة، هذه أحداث حقيقية تمت..

فحينما نقوم بهذه الشعائر إنما نتذكر أحداثًا حقيقيةً حدثت؛ لنعلم أن هذا الدين جاء ليطبَّق على أرض الواقع، جاء ليُقام على أرض الواقع، "وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ" المائدة:66، القضية في إقامة الدين على أرض الواقع لا في التفوه به فقط والتكلم به فقط.

ليقوم بثوراتٍ .. تجدد عقيدتنا مع الله

يأتي موسم الحج ليُجدد لنا هذه المعاني، على مدار العام قد تندلس بعض شعائر الدين، قد يتناسى الناس بعض أحكام الدين، فيأتي موسم الحج ليقوم لنا بثورة في حياتنا، ثورة على الحياة الرتيبة، ثورة على المادية الطاغية، ثورة على العقول المتكبرة، ثورة على الحدود الوهمية التي وُضعت لنا، يأتي الحج ليقوم بهذه الثورات في عقولنا وفي قلوبنا وفي وجداننا؛ حتى نجدد عقيدتنا مع الله.

- ثورة على الحياة الرتيبة

يأتي الحج ليقوم بثورةٍ على الحياة الرتيبة، هذه الحياة التي أصبحنا نعيش أسرى فيها، في موعدٍ نستيقظ فيه وننام فيه؛ لأجل أعمالٍ معينة، وارتباطٍ بأشخاصٍ معينة، وأماكن معينة، لا نستطيع أن نخرج إلى الفضاء الواسع، لا نستطيع أن نرى الكون بأكمله.

يأتي الحج ليطلب من الإنسان أن يترك هذه الحياة برتابتها ومللها، بقواعدها وأسسها، وأن يترك بلده ووطنه، وأن يكون رهن الإشارة وطوع الأمر، وأن ينتقل من مكان إلى مكان، هكذا يأتي الحج ليُغيّر حياة الإنسان تمامًا، ليُغيّر شكله، ولبسه، حتى شعره وأظافره، ليُغيّر فيه كل شيء، فليترك هذه الأشياء كلها، ولينشغل بالحركة مع الذكر في طاعة الله، جاء الحج؛ ليكسر هذه الرتابة وهذا الملل الذي أصبحنا أسرى فيه في حياةٍ وظيفية ضيقة لا تليق بالمؤمن الذي هو مرتبطٌ بالكون لسعته.

كان الصحابة يقولون: "جئنا لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة"، المؤمن مرتبط بالكون، بسعة السماء، وبفساحة الأرض؛ لأن كل هذه المخلوقات هي عبيدٌ لله –عز وجل–.

فالمؤمن يترك هذه الرتابة وهذا الملل ليُغيّر مواعيد نومه، وطريقة حياته، كان متعود على مكان ينام فيه، وطريقة معينة في اللبس، وطريقة معينة في الحياة والأكل والشرب، فليترك كل هذا، وليصبح عبدًا لله –عز وجل– يؤمر بطوافٍ وسعيٍ وذبحٍ للقربات، يؤمر بالتنقل السريع، أن ينتقل إلى عرفة ثم يمر ويؤمر بالمبيت في مزدلفة، ثم يذهب إلى منى، ثم يذهب إلى مكة، ثم يعود، يكون طوع الإشارة، رهنًا لأمر الملك –سبحانه وتعالى– في كسرٍ لهذه الحياة..
يأتي الحج ليقوم لنا بثورة على هذه الحياة؛ حتى يتذكر الإنسان أنَّ له وظيفةً عظيمة في السعي في الدين بين الناس، في الحركة في الدين بين الناس، لا أن ينعزل في مكان.

- ثورة على المادية والحياة المرفَّهة

يأتي الحج ليقوم بثورة على الحياة الرتيبة وعلى المادية الطاغية، يأتي الحج ليقوم بثورة على هذه الحياة المرفهة، المدللة التي أصبحنا نعيشها الآن، أصبح الحج تذهب إليه في أماكن بالحجارة، أنت تُمسك الحجارة وترمي هذه الحجارة، في ثورة على المادية.

- ثورة على العقل المتكبر

ثورة على العقل المتكبر الذي يسأل عن حكمة كل شيء، يسأل الله –عز وجل– وكأنه مخلوقٌ منا –حاشاه سبحانه وتعالى–، يسأله عن كل شيء، يأتي الحج ليُعبِّد هذا العقل ويأمره بأشياء قد لا يفقه معناها ولكنه يقوم بها، هي فيها من الحِكَم والأسرار ولكنه يفعل هذه الأشياء؛ لأنه عبد.

كما قال عمر بن الخطاب –رضيَ الله عنه– أنه يُقبِّل الحجر لأنه رأى النبي –صلَّى الله عليه وسلم– يُقبِّله، يُعبِّد عقله لله –سبحانه وتعالى–، يطوف حول البيت، ويسعى بين الصفا والمروة، ويبيت في أماكن، ويترك أماكن، وممنوع له أن يتخطى حدود معينة، ويجلس في أماكن معينة، يُعبِّد عقله، في ثورةٍ على العقل المتكبر، في ثورة على عقل ظن أنه سوف يفهم كل شيء، "وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" الإسراء:85، في ثورة على المادية الطاغية في المعاملات بين الناس،

أصبح العامل الأساسي بين الناس هو المال، أصبحت هذه هي المعاملات بين الناس، يأتي الحج ليُغيّر هذه العلاقات، ليقوم بثورة على كل هذا.

- ثورة على الحدود الوهمية

يأتي الحج ليقوم بثورة على الحياة الرتيبة، على المادية الطاغية، على العقل المتكبر، على الحدود الوهمية، أصبحنا نعيش في نطاقٍ ضيق، في حدود وُضعت لنا بين الناس، في أوطانٍ رُسمت لنا، في ولاءٍ وبراءٍ، في حب وبُغض مبني على خطوطٍ وهمية.

نكسر هذه الحدود ويلتقي الجميع باختلاف الألسنة، باختلاف الألوان، باختلاف اللغات في مكانٍ واحد يقومون برجم عدوٍ واحد، في كسر هذه الحدود الوهمية التي وُضعت لنا، فيلتقي المسلمون جميعًا في مكانٍ واحد ليُمسكوا بالحجر ويلقوه في عدوٍ واحد.

لنا قبلةٌ واحدة وقرآنٌ واحد .. فعلام الاختلاف؟!

جاء الحج ليوحِّد المسلمين مرةً أخرى تجاه عدوٍ واحد بعد أن تفرق بهم الأعداء، وتفرقت بهم الوجهات، وتفرق بهم السبل والطرق، فاختلفوا واختلفت قلوبهم واختلفت اتجاهاتهم، لذلك من معاني الحج: المقصد، جاء الحج ليحدد للمسلمين جميعًا المقصد الواحد، فلنا قبلةٌ واحدة، ولنا قرآنٌ واحد، ولنا عدوٌ واحد فعلام الاختلاف!

جاء الحج ليجدد لنا هذه المعاني التي قد ننساها، قد ننشغل ببعضنا، قد نصنع عداواتٍ وهمية ننشغل بها عن العدو الرئيسي، جاء الحج ليقوم بثورة على هذه الحدود الوهمية المصطنَعة التي نعيش فيها، يجلس الأبيض بجانب الأسود، يجلس العربي بجانب الأعجمي، الكل يتعلم من بعض، الكل يستفيد، الكل يتواصى، الكل يتناصح، الكل يحمل الحجر في اتجاه واحد ليرجم به عدوًّا واحدًا إنه الشيطان، في وقتٍ واحد، في زمانٍ واحد.

تخيل هذه الشعيرة العظيمة التي جاءت لتوحد المسلمين، طوال السنة يظل أعداء الله –عز وجل– يفرقون ويشتتون وينزعون، ويضعون العداوات، ويزرعون العداوات بين أهل الإيمان، ثم يأتي هذا الموسم ليكون غُصَّة في حلوقهم، ليأتي هذا المشهد لينحر الشيطان، لينحر شياطين الإنس وشياطين الجن، "ما رُؤِيَ الشَّيطانُ يومًا هوَ فيهِ أَصغرُ ولا أَدحرُ ولا أَحقرُ ولا أَغيظُ منه في يومِ عَرفةَ..." ضعفه الألباني.

مع الاجتماع تأتي المغفرة، مع الاجتماع تأتي الرحمات، "يدُ اللَّهِ معَ الجماعةِ" صححه الألباني.

رحلة الأشواق .. لتجديد الشوق

جاء الحج ليجدد بداخلنا هذه المعاني، ليُهَيِّج الأشواق والوجدان، علم الله –عز وجل– أن بداخل العبد شوقًا فجعل له الحج وجعل له هذه الشعائر؛ ليفَرّغ به جزءًا من هذا الشوق، يحتاج العبد إلى أن يرى شيئًا منسوبًا إلى حبيبه، فهذا بيت الله، هو يحب ربه، وهذا بيت الله، فيترك الأوطان والأموال والأهل؛ ليسافر إلى بيت الله؛ ليرى هذا البيت فيطفئ

جزءًا من شوقه، هذا الشوق الذي يظل مشتعلًا إلى هذه اللحظة التي يتمناها المؤمن هي رؤية وجه الملك –سبحانه وتعالى–..

المؤمن يزداد شوقًا مع هذه الطاعات "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ" الأعراف:143، لما كلم الله –عز وجل– موسى ازداد موسى شوقًا إلى رؤية ربه.

فيذهب المؤمن إلى هذه الأماكن ليطفئ جزءًا من الشوق فيُفاجأ أن شوقه زاد وأنه يريد أن يبذل ويريد أن يعلو في المنزلة في الفردوس الأعلى، يريد أن يرى وجه الله –عز وجل– في الجنة "مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ" العنكبوت:5، فإن رؤية وجه الله كانت زادًا لأهل الإيمان في وقت الفتن كما في أول سورة العنكبوت، يبشر الله –عز وجل– أهل الإيمان أنه سوف يأتي يوم تنظرون فيه إلى وجه الله –سبحانه وتعالى–، على هذا الأمل يعيش المؤمن.

لتذكرنا بالغاية .. لترفع الهمم في نصرة الدين

جعل الله –عز وجل– هذه الشعائر لتجدد لنا الشوق، لتذكرنا بالغاية من وجودنا، جعل الله –عز وجل– هذه الشعائر لتعلمنا أن الدين يحتاج إلى بذل، وأن طريق الدين ليس بالقعود والخمول والكسل.

انظر إلى إبراهيم –عليه السلام– كيف ترك بلده ووطنه وانتقل بين البلاد وجاء إلى أرضٍ غير ذي زرع، "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ" الحج:26، في أعظم نعمةٍ على إبراهيم أن يعرف مكان البيت، وفي أعظم نعمةٍ عليك أن تعرف مكان إيمانك.

"وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ"، ترك إبراهيم الخليل كل شيء وجاء إلى مكان صحراء جرداء أرض غير ذي زرع، لماذا؟ ليقيم الصلاة، ليبني الدين..

وقف على الحجر وقفة أثَّرَت قدماه في هذا الحجر، هكذا تكون الوقفات لنصرة الدين، يتأثر الحجر ولا يتأثر الإنسان، يتأثر الحجر وتحدث فيه هذه الندبات ولا يتأثر الإنسان الذي وقف لنصرة دين ربه، فهو أشد صلابةً من الحجر في نصرة دين الله –عز وجل–، لا يتأثر أبدًا.

لنسير على درب إبراهيم عليه السلام

وقف إبراهيم هذه الوقفة، خَلَّد الله –عز وجل– هذا الحجر لنرى آثار هذه الوقفة التي وقفها إبراهيم –عليه السلام– وحيدًا هو وإسماعيل –عليهما السلام–، وها نحن الآن نرى الملايين، انظر إلى أثر هذه الوقفة ممتد بإذن الله –عز وجل– إلى قيام الساعة، وقف إبراهيم وقفةً لنصرة الدين خلدها الله، فنذهب لنرى أثر هذه الوقفة، بل لنسير على طريقه، "وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" البقرة:125.

لتجديد العهد والميثاق مع الله

بل لنقف خلف المقام ولنقرأ بـ

"قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ" الكافرون:1، في الركعة الأولى، "لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ" الكافرون:2، أتبرأ إلى الله من كل كافر، ثم أقرأ في الركعة الثانية بالإخلاص، بالصمد، "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" الإخلاص:1، هذه سبيلي، هذه طريقي.

تذهب لتقف خلف المقام؛ لتجدد العهد والميثاق وأن الدين براءٌ وولاء، وأن الدين كفرٌ بطاغوت وإيمانٌ بالله، هذا هو الدين، هذا طريق الخليل إبراهيم –عليه السلام–.

لتعود إنسانًا جديدًا

هكذا يذهب المرء إلى الحج، ليعود متغيرًا، ليعود وكأنما وُلِد من جديد، وكأنما خُلِق خَلْقًا جديدًا، يعود إلى الناس يُقدّم لهم ويعرفهم على هذه الأحداث التي نراها، يُعَلِّم الناس وكأن مكة هذا المكان المبارك يسحب جزء من الناس من كل أنحاء العالم ثم يقوم بتطهيره وبتغييره وبتخليقهم خلقًا جديدًا ثم تبثهم مرة أخرى في الآفاق لينشروا الدين، ليجددوا معالم الدين عند الناس.

لا قيام للأمة إلا بهذه الشعائر

هكذا كانت الكعبة قيامًا للناس "جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ" المائدة:97، فلا قيام لهم إلا بمكانٍ يجمعهم، إلا بعدوٍ واحد يرجمونه، لا قيام لهذه الأمة إلا بهذه الشعائر.

أسأل الله –عز وجل– لي ولكم أن نسير على خطوات إبراهيم الخليل –عليه والسلام–.

انتبه.. لابد من تحقيق مقاصد الطاعة لكمال الأجر

أحبتي في الله، قُلنا أن الله –عز وجل– شرع لنا العبادات لمقاصد وحِكَم وأسرار، فَمَن فعل هذه الطاعات دون أن يحقق مقاصدها فهو لم يحقق الغاية الأساسية والكامنة لهذه العبادة، فكما قلنا يقول النبي –صلّى الله عليه وسلم–: "مَن حجَّ للهِ، فلم يَرفُث ولم يَفسُقْ.." كيف ذهب للحج لأجل الاجتماع مع الناس ثم هو يناكفهم وينازعهم؟! كيف ذهب للحج ليتخلص من كل شائبةٍ تتعلق بالدنيا ثم هو يفسق هناك؟ هو لم يحقق الغاية الأساسية من الحج..

فقال –صلّى الله عليه وسلم– لاشتراط كمال الأجر: "مَن حجَّ للهِ، فلم يَرفُث ولم يَفسُقْ، رجَع كيوم ولدَته أمُّه"، ليعيد تخليق من جديد، يُذَكِّر نفسه ويعود إلى الفطرة كأنه وُلِد من جديد، يعود صافيًا نقيًّا فيعود ويمشي بين الناس فيرى الناس معالم الدين ويرى الناس شعائر الدين تتحرك بينهم، يرى الناس الذي عاد من الحج بهذه الأوصاف الجديدة.

إن لم تستطع تحقيق العبادة فجاهد في تحقيق مقاصدها

ولكن قد لا يستطيع كل الناس الذهاب، أسأل الله لي ولكم المتابعة والمداومة بين الحج والعمرة، قد لا يستطيع أغلب الناس السفر إلى هذه الأماكن ولكن فليجاهد الإنسان نفسه ليتخلق بهذه الأخلاق وهو في بلده، فليحاول أن يحقق

ولو جزء من الغاية، جزء من المقصد من الحج في الوطن، في بلده، طالما أنه لم يستطع الذهاب فليحاول أن يحقق جزءًا من المقصد "فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ" البقرة:196.

فمن لم يستطع الوصول إلى هذه الأماكن وكان يتمنى ويملأه الشوق أن يذهب إلى هذه الأماكن فليتشبه بالحجاج، وليضَحِّ قدر المستطاع، وليقدم الأضحية لله –سبحانه وتعالى–، وليترك أظافره وشعره تَشَبُّهًا بفعل الحجاج، وليكثر من الذكر في هذه الأيام المباركات، في أفضل أيام الدنيا أيام العشر..

فمن رحمة الله –عز وجل– أن جعل بعض الطاعات للمقيم الذي لا يستطيع أن يسافر للحج، جعل بعض الطاعات وجعل هذه الأيام المباركات وعظَّم فيها الأعمال الصالحة حتى نتنافس فيها في هذه الأيام فهي أفضل أيام الدنيا أيام العشر، جعل لنا يوم عرفة جعل الله –عز وجل– لنا يوم عرفة لنصومه؛ ليكفر لنا عامين من الذنوب، جعل الله –عز وجل– هذا الموسم موسم طاعة حتى نتشبه بهم.

التَّرْك والتضحية رسالة حب منك لله .. اترك لأجل حبيبك

ومن أعظم العبادات التي نقدمها في هذه الأيام وفي هذا الموسم عبادة الترك لله، عبادة التضحية لله –سبحانه وتعالى– فهو عيد الأضحى، هو العيد في هذا اليوم الذي قَدَّم فيه إبراهيم –عليه السلام– ولده قُرْبانًا لله، فأنزل الله –عز وجل– وفداه بذبح عظيم.

أن تترك بلدك، أن تترك وطنك، أن تترك أهلك ومالك، هكذا يفعل الحاج، أن يترك الاهتمام بنفسه، هكذا فعل إبراهيم –عليه السلام–، فلنتشبه ولنضحي لله –عز وجل– في هذه الأيام، فلنترك شيئًا لله.

من علامات المحب أن يترك شيئًا لا يريده حبيبه، عبادة الترك من أعظم العبادات، أن تترك شيئًا لله، حَرَّك الله –عز وجل– صخرة، صخرة حركها الله –عز وجل– لأجل رجل ترك الحرام!

حديث الثلاثة والصخرة، الذي آواهم المبيت إلى غار، الرجل الثاني قال أنه كان يحب امرأة أشد ما يحب الرجال النساء ثم تركها في أشد لحظات الاحتياج إليها قال فقمت عنها وهي أحب النساء إليّ، أحسن حاجة بيحبها يسيبها علشان ربنا، في هذه اللحظات تُحرَّك الصخور وتُفَك الأزمات، أن تترك شيئًا لله من علامات الحب.

هذا الموسم من أهم مواسم التضحية، من أهم مواسم البذل، أن تُظْهِر هذا الحب فالمحب لا يستطيع أن يكتم حبه، فأنت تقول لله أنا أترك هذا الشيء لك يارب خالصًا لك، أنا لم أستطع أن أذهب إلى الحج، لم أستطع أن أضحي، مش قادر أجيب فلوس وأجيب أضحية وأضَحِّي أقدم القربان لله –عز وجل–، مش قادر أسافر أروح للحج حِيلَ بيني وبين السفر، وأنت تجلس في مكانك وتقول يارب هذا ما أستطيعه.

ترك إبراهيم كل شيء، ترك أهله ووالده وقومه لله، ترك زوجته لله، ترك ولده لله، ترك كل شيءٍ لأجل الله، وكان شعاره

"لبيك"، هذا الشعار المُوَحَّد لكل المسلمين، لبيك اللهم لبيك.

إن لم تستطع أن تقولها هناك فلتفعلها هنا، إن لم تستطع أن تتكلم بهذه الكلمات هناك فلتفعلها هنا، قد يقولها قائلٌ هناك ويُقال له ويُنادى قد كذبت، وقد تفعلها هنا ويقال لها قد صدقت، نعم أنت تلبي أوامر الله، أنت تريد أن ترضي ربك.

هذا حال المؤمن.. لا مجال للكسل والخمول

أحبتي في الله، لا ينبغي أن تمر علينا المواسم بدون تجديدٍ لهذه المعاني، شرع الله –عز وجل– هذه المواسم لغايات ومن أجَلّها هذا المعنى أن تجدد هذه المعاني، خرجنا من رمضان بعد مُكْثٍ مع القرآن بفضل من الرحمن –سبحانه وتعالى– لننطلق مباشرةً إلى هذا الموسم، فالحج أشهر وليس أيام، "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ" البقرة:197، وأشهر الحج تبدأ من اليوم الأول مباشرةً بعد رمضان.

هكذا ينبغي أن يكون الإنسان دائمًا ينتقل من طاعة إلى طاعة، "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ" الشرح:7، فإذا انتهيت من طاعةٍ فلتذهب إلى طاعةٍ أخرى مباشرةً، فإن الله –عز وجل– يحب الحالَّ المرتحل، الذي لا يمكث في مكانٍ طويلًا حتى يصيبه الخمول والكسل، بل ينتقل من طاعةٍ إلى طاعة..

خرج من رمضان خرج من مكان الاعتكاف، خرج من مكان المُكْث مع القرآن، إلى السَّعْي، إلى الحركة للدين، إلى الانطلاق، إلى أن يلهج بذِكْر الله –عز وجل– في هذه المواسم، هكذا يأتي الموسم تِلْوَ الموسم ثم نخرج من ذي الحجة ليقابلنا موسم عاشوراء هذا الموسم العظيم، هذا يومٌ من أيام الله أهلك الله –عز وجل– فيه الظالمين.

هكذا المؤمن تأتي هذه المواسم لتجدد الإيمان في قلبه، حتى تصبح شعائر الدين حيةً في قلبه لا أنها موجودةً على أرض الواقع فقط حتى يصبح الطواف والسَّعْي خُلقًا له دائمًا، الطواف والسَّعْي أخلاق مرتبطة بالإنسان في أي مكان وليس في مكة فقط، فهو يطوف؛ بحثًا عن رضا الله، ويسعى؛ طلبًا لرضاه وتحقيقًا لدينه في أرض الواقع، هكذا يكون المؤمن مرتبطًا دائمًا بهذه الشعائر.

دعاء الخاتمة

أسأل الله –عز وجل– لي ولكم أن يتابع لنا دائمًا بين الحج والعمرة، وألا يحرمنا أبدًا من الحج والعمرة، وأن يوفقنا للسير على خطوات الخليل إبراهيم –عليه السلام– وعلى خطوات نبينا –صلّى الله عليه وسلم–، اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم استعملنا، اللهم استعملنا، اللهم استعملنا ولا تستبدل بنا، اللهم وفقنا لفعل ما تحب وترضى، وهيّئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار.

أقول قَوْلي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36